

الصد عن اتباع الصراط المستقيم في ضوء القرآن الكريم -دراسة تفسيرية موضوعية

د. محمد أحمد مصلح الوعيل

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد - كلية التربية

جامعة إب

abrahhim2017@gmail.com

يهدف البحث إلى تعريف الصراط المستقيم وبيان مرادفاته،
ووسائل الصد عن الصراط المستقيم، وكذلك الأساليب
المتبعة، مع بيان الصور التي ظهر فيها الصد عن الصراط
المستقيم.

كما يحوي البحث الحديث عن فئات تصد عن اتباع الصراط
المستقيم، وغياب القدوة الحسنة، مع الخاتمة التي تتضمن
أهم نتائج البحث.

Abstract

This paper aims at defining the straight path and to state its synonyms, as well as the ways and the followed manners of avoiding the straight path. Besides, it points out the verses in which avoiding the straight path is mentioned. Moreover, the paper includes the discussion of the groups that do avoid or give up the straight path, and the absence the good model. The final point is the conclusion which includes the study's outcomes.

الملخص

8

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن من تمام نعم الله على عباده أن أرسل لهم الرسل، وأنزل معهم الكتب وشرع لهم فيها الشرائع التي تضمنها صراطه المستقيم، فقامت الحجة، واتضحت بذلك السبيل، وتبين الرشد من الغي، والهدى من الضلال، واقتضت حكمة المولى سبحانه وتعالى وجود أعداء يصدون الناس عن اتباع صراطه المستقيم. كشف لنا القرآن الكريم عن حقيقتهم وأساليبهم وأهدافهم.

ولخطر الصد عن اتباع الصراط المستقيم لزم التحذير عن ذلك وبكل وسيلة ومن هذه الوسائل البحوث العلمية التي أمل أن يكون هذا البحث منها وقد سميتة :

((الصد عن اتباع الصراط المستقيم في ضوء القرآن الكريم - دراسة تفسيرية موضوعية))

أهداف البحث :

- 1- توضيح الرؤية الصحيحة حول حقيقة الصراط المستقيم.
- 2- توضيح منهج القرآن الكريم في كيفية حسم المعركة بين الخير والشر.
- 3- استبانة سبل المجرمين الموصلة إلى سخط الله وعذابه.
- 4- الكشف عن الصادين عن الصراط وصور صدهم وأساليبهم في ذلك.

مشكلة البحث:

قد يقع المجتمع في حبال المجرمين الصادين عن صراط الله المستقيم، ويكون أداة من أدواتهم عندما ما لا تتضح الصورة الحقيقية لهؤلاء المجرمين، وأهدافهم وخططهم، وأساليبهم الماكرة.

تساؤلات يجيب عليها البحث:

- 1- هل المنهج الذي يسير عليه عامة المسلمين يتفق مع الصراط المستقيم الذي أوجب الله اتباعه والسير على هداة؟
- 2- هل يدرك المسلم حقيقة الأعداء ومناهجهم وأساليبهم في الصد عن اتباع الصراط المستقيم؟
- 3- ما السر في الأمر بإفراد الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم في كل ركعة من ركعات الصلاة؟

الدراسات السابقة:

وقف الباحث على بعض الدراسات التي تحدثت عن الصراط المستقيم منها: دراسة حسين عبد الجليل عبدالرحيم علي تحت عنوان: الصراط المستقيم في القرآن الكريم. تفسير موضوعي. بحث تكميلي لمرحلة الماجستير عام 2005م. تحدث فيه عن الصراط المستقيم وذكره في القرآن الكريم، وعن مرتكزاته، والثمار المترتبة عليه في الدنيا والآخرة والعواقب المترتبة على مخالفته في الدنيا والآخرة.

أماموضوع الدراسة موضوع البحث (الصد عن اتباع الصراط المستقيم) فهي دراسة تختلف عن سابقتها من حيث المحتوى والنتائج التي توصل إليها البحث.

منهج البحث:

سلكت في البحث المنهج الاستقرائي لأيات من القرآن الكريم ثم اعتمدت على المنهج التحليلي الوصفي في الحديث عن تلك المواضع التي اشتملت عليها خطة البحث.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المبحث التمهيدي الأول:

المطلب الأول: تعريف الصد عن اتباع الصراط المستقيم.

المطلب الثاني: المرادفات.

المطلب الثالث: وجوب اتباع الصراط المستقيم..

المطلب الرابع: الصد عن اتباع الصراط المستقيم سنة لازمة.

المبحث الثاني: فئات تصد عن اتباع الصراط المستقيم:

المطلب الأول: الكافرون.

المطلب الثاني: أهل الكتاب (اليهود والنصارى).

المطلب الثالث: المنافقون.

المطلب الرابع: الشيطان وجنده.

المطلب الخامس: المنهزمون فكرياً وثقافياً.

المبحث الثالث: أساليب في الصد عن اتباع الصراط المستقيم:

المطلب الأول: الحرب الفكرية والثقافية.

المطلب الثاني: الحرب النفسية.

المطلب الثالث: الحرب الإجتماعية والأخلاقية.

المطلب الرابع: غياب القدوة الحسنة (السلوك المشين).

الخاتمة: خلاصة البحث وأهم النتائج.

المبحث التمهيدي

المطلب الأول: تعريف الصد عن الصراط المستقيم

(أ) التعريف اللغوي :

الصد لغة: هو المنع والصرف (□) يقال صدّه عن الأمر يصده، صدّاً منعه وصرفه عنه. (بر)

- ومنه ما ورد في سورة النمل في صد الشيطان أهل سبأ عن اتباع طريق الحق يقول تعالى: (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) {النمل: ٢٤}. (تر)

- وقوله تعالى: (وَأَنَّهُمْ لَيَصْدُونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) {الزخرف: 37} (وَأَنَّهُمْ لَيَصْدُونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) أي طريق الهدى. (ير)

الصراط لغة: قال الراغب: "الصراط بالسين الطريق المستسهل أصله من سرطت الطعام وازدرته: ابتلعتة. واستعير للطريق الواضح؛ لأنه كأنه يسترط المارة لكثرة سلوكهم فيه" (سم)

المستقيم لغة: المستوي القويم الذي لا اعوجاج فيه ولا التواء، يقال طريق مستقيم، كما يطلق على العادل الذي لا ميل فيه عن الحق فيقال: ميزان مستقيم. (□)

(1) المعجم الوسيط: 509/1.

(2) لسان العرب: 3/ 245.

(3) ينظر تفسير الجلالين: / 37/19.

(4) تفسير ابن كثير: 3/1336.

(5) المفردات: ص 407.

ومن هذه التعريفات اللغوية يتبين أن المراد بالصراط المستقيم: هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه.

(ب) معنى الصراط المستقيم عند المفسرين:

تعددت أقوال المفسرين في تفسير معنى الصراط المستقيم:

يقول ابن كثير: اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، فروي أنه كتاب الله،

وقيل هو الاسلام، وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه من بعده، وقيل هو الحق... (بر)

وهذه الأقوال التي فسرها الصراط وردت حسب مواضعها التي وردت في القرآن الكريم.

وليس مجال البحث هنا هو تفصيل تلك الأقوال؛ لأن الغاية هي الوقوف على المعنى الكلي لا الجزئي.

والآيات الواردة في تفسير الصراط هو بيان عملي لمعانيه المتعددة التي تزيده وضوحاً، فإنه كلما تعددت

المعاني لأمر ما زاده قوة واتباعاً.

والذي يرجحه الباحث من خلال تلك التعاريف هو أن الصراط المستقيم: هو الإسلام الذي ارتضاه الله

ديناً للأنبيا والمرسلين وختم الله به رسالة النبي صلى الله عليه وسلم المتمثلة في الوحيين (الكتاب والسنة)

اللذين هما المصدران الذان أوجب الله اتباعهما والسير على هدهما لقوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي

لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ..) {الإسراء:9}

• وقوله تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ

وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ

يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) {الشورى:13}.

• وقوله تعالى: (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) {الزخرف:43}.

• وقوله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) {الحشر:7}.

المطلب الثاني

المرادفات للصراط المستقيم

(1) معجم الفاظ القرآن الكريم: 2/453.

(2) تفسير ابن كثير: 1/30.

وردت في القرآن الكريم مرادفات للصراط المستقيم منها:

1 - **الرُّشْدُ**: وقد عرفه ابن منظور فقال: "الرشد مصدر أرشده إلى الشيء بمعنى دلّه عليه، وهو مأخوذ من مادة (ر ش د) التي تدل على استقامة الطريق، والرُّشد والرُّشدُ والرُّشادُ: نقيض الغي. والراشد: المستقيم على طريق الحق. (□)".

قال ابن الأثير: "الرشد إرشاد الضال هدايته الطريق المستقيم وتعريفه به" (بر).

ولقد حكى الله عز وجل قول الجن عن القرآن الكريم بأنه يهدي إلى الرشد فقال سبحانه وتعالى: (قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) {الجن: 1-2}.

يقول ابن كثير في تفسيره: "يهدي إلى الرشد" إلى السداد والنجاح. (تر).

ويقول الزمخشري: (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) يدعوا إلى الصواب، وقيل التوحيد والإيمان. (بر).

ويقول صاحب الظلال: الرشد في ذاته ذات دلالة واسعة المدى فهو يهدي إلى الحق والصواب والمعرفة الرشيدة. (سم).

2 - **السَّبِيلُ**: هو الصراط المستقيم كما جاء في قوله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) {الأنعام: 153}

يقول الزمخشري: (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) الطرق المختلفة في الدين، من اليهودية والنصرانية والمجوسية، وسائر البدع والضلالات.

(فَتَفَرَّقَ بِكُمْ) فتفرقكم أيادي (عَنْ سَبِيلِهِ) عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام

ويقول تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) {يوسف: 108} (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي) هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيل

¹ لسان العرب: 175/3- 176.

² النهاية في غريب الحديث: 225/2.

³ تفسير ابن كثير: 437/4.

⁴ الكشف: 625/4.

⁵ في ظلال القرآن: 3727/6.

والسبيل والطريق : يذكران ويؤنثان ، ثم فسر سبيله بقوله: (أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) أي ادعوا إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء .

ويقول تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) {النحل: 9}

أي على الله تبين الطريق المستقيم إليه بالحجج والبراهين وقوله: (وَمِنْهَا جَائِرٌ) أي من السبل طرق غير قاصدة للحق. (3)

يقول سيد قطب في قوله تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ..) والسبيل القاصد هو الطريق المستقيم الذي لا يلتوي كأنه يقصد قصداً إلى غايته فلا يحيد عنها ، والسبيل الجائر هو السبيل المنحرف المجاوز للغاية لا يوصل إليها أو لا يقف عندها. (4)

وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم السبيل بأنه الطريق المستقيم. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط رسول الله خطأ ثم قال هذا سبيل الرشd، ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطاً ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ...) {الأنعام: 153}. (5)

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: أقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف، ونبي الله صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف، قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك، فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل. قال: فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير

3 -التوسط: المصدر توسط الشيء وهو مأخوذ من مادة (و، س، ط) التي تدل على العدل والنصف. ووسط الشيء ما بين طرفيه. (□)

قال أبو السعود: الطريق المستقيم: هي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الإفراط والتفريط. (بر) يقول ابن تيمية: "ملة الإسلام وسط في الملل، فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين، لم يغلوا فيهم كما غلت النصراني، ولم يجفوا عنهم كما جفت اليهود، وهم وسط في شرائع دين الله، فلم

(1) لسان العرب : 4831/8.

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 28/1.

يحرّموا على الله أن ينسخ ما شاء ويمحو ما شاء ويثبت ما شاء، كما قالته اليهود، ولا جوزوا لأكابر علمائهم وعبّادهم أن يغيروا دين الله فيأمرّوا بما شاءوا وينهوا عما شاءوا كما يفعله النصارى. وهم كذلك وسط في باب صفات الله تعالى: فإن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوق الناقصة والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به هذا في باب يطول حصره..(□)

4 - الحنيفية: هي الإقبال على الله والإعراض عن كل ما سواه. (بر)

يقول تعالى: (فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) {الروم:30} .

(فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يميناً ولا شمالاً ، وهو تمثيل لإقباله على الدين واستقامته عليه وثباته، واهتمامه بأسبابه، فإن من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه، وسدّد إليه نظره، وقوم له وجهه مقبلاً عليه. (تر)

وفي ظلال هذه الآية: (فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ..) يقول صاحب الضلال: " يتجه بالخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليستقيم على دين الله الثابت المستند على فطرة الله التي فطر الناس عليها. إنها العقيدة الواحدة الثابتة لا تتفرق معها السبل كما تفرق المشركون شيعاً وأحزاباً، إنه اتباع للدين العاصم من الأهواء المتفرقة التي لا تستند على حق، ولا تستمد من علم، إنما تتبع الشهوات والنزوات بغير ضابط ولا دليل.

أقم وجهك للدين حنيفاً مائلاً عن كل ماعداه مستقيماً على منهجه دون سواه". (بر)

(1) مجموع الفتاوى: بتصرف : 370/3 - 375.

(2) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن الشيخ. ص 76.

(3) الكشاف: 484/3.

(4) في ضلال القرآن: 2768/5.

المطلب الثالث

وجوب اتباع الصراط المستقيم

الله عزوجل لم يترك الإنسان لهواه بل أنزل له منهجاً يسير عليه وأرسل الرسل لبيان ذلك المنهج المتمثل في صراط الله المستقيم.

الصراط الذي يرسم للأمة المسلمة شخصيتها المستقلة الأصلية.

وأمر سبحانه وتعالى عباده أن يسلكوا الصراط المستقيم وان يسألوه الهداية له في كل وقت من صلاة وغيرها قال تعالى: (اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} {الفاتحة: 6- 7}.

ويقول صاحب الكشاف: (الحكمة من تخصيص الأمر بالدعاء لهداية الصراط المستقيم . هو طلب زيادة الهدى بمنح الألفاظ ، وتكرير لفظ(الصراط) للتوكيد والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره، صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالإستقامة على أبلغ وجه وأكده . والذين أنعمت عليهم : هم المؤمنون ، وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام ؛ لأن من أنعم عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة إلا أصابته واشتملت عليه. (□))

ويقول ابن تيمية: (لقد بعث الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام الذي هو الصراط المستقيم وفرض على الخلق ان يسألوه كل يوم في صلواتهم. ووصفه بأنه صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين) (بر)

يقول ابن كثير في تفسيره: (ولولا احتياج العبد له ليلاً ونهاراً إلى سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم لما أرشد الله تعالى إلى ذلك، فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياده منها واستمراره عليها، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء

(1) الكشاف: 57/1 - 58.

(2) وجوب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة اصحاب الجحيم: 76/1.

الله فأرشده الله تعالى أن يسأله الثبات على الصراط المستقيم في كل وقت وأن يمهده بالعمونة والثبات والتوفيق. (□)

ويقول ابن القيم: (تشدد حاجة العبد أن يسأل ربه أن يهديه الى هذا الصراط المستقيم، وكان سؤاله هذه الهداية أوجب دعاء على كل عبد، وقد أوجبه الله عليه في كل يوم وليلة بقوله تعالى في الفاتحة: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) ويردد المسلم ذلك بعدد ركعات الصلاة كل يوم حتى يأتيه اليقين لشدة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة) (بر)

"والبشرية اليوم تعاني الويلات عندما ابتعدت عن صراط ربه المستقيم . وحين نفصل مقدار الشر الذي أصابها سيتبين لنا مجدداً مدى المسؤولية الملقاة على عاتق هذه الأمة، ومدى الوزر الذي ارتكبته في حق نفسها، وحق البشر جميعاً، حين فرطت في مسؤوليتها". (تر)

"إن أوجب ما تتوجه إليه الأمة المسلمة اليوم ، وهي تعيش بين شتى التصورات الجاهلية التي تعج بها الأرض جميعاً، وبين شتى الأهداف الجاهلية التي تستهدفها ، وبين شتى الاهتمامات الجاهلية التي تشغل بال الناس جميعاً، وبين شتى الرايات الجاهلية التي ترفعها الأقسام جميعاً. الأمة المسلمة اليوم في حاجة إلى التميز بشخصية خاصة لا تلتبس بشخصيات الجاهلية السائدة اليوم، والتميز بتصوير خاص للوجود والحياة لا يتلبس بتصورات الجاهلية السائدة ، والتميز بأهداف واهتمامات تتفق مع تلك الشخصية وهذا التصور والتميز برؤية خاصة تحمل اسم الله وحده فتعرف بأنها الأمة الوسط التي أخرجها الله للناس لتحمل أمانة العقيدة وتراثها، وهي بغير هذا التميز وبغير اتباع منهج الله ضائعة في الغمار، مبهما الملامح، مجهولة السمات، مهما اتخذت لها من أزياء ودعوات وأعلام". (ير)

(1) تفسير ابن كثير: 31/1.

(2) مدارج السالكين: 63/1.

(3) رؤية إسلامية لأصول العالم المعاصر ، لمحمد قطب.ص: 186.

(4) في ظلال القرآن: 129/1.

المطلب الرابع

الصد عن اتباع الصراط المستقيم سنة لازمة

إن المتدبر لأيات القرآن وسيرة الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم يجد أن الصد عن اتباع صراط الله المستقيم المتمثل في دينه سنة أرادها الله عز وجل؛ وذلك ليظهر الحق في أنصع صورته ويضمحل الباطل وقد تبدى للناس سواته ومن الآيات الدالة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } {112} وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ } {الأنعام: 112- 113} .

يقول تعالى: مسلماً لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم - وكما جعلنا لك أعداء يردون دعوتك، ويحاربونك، ويحسدونك ، فهذه سنتنا أن نجعل لكل نبي نرسله إلى الخلق أعداء ، من شياطين الإنس والجن ، يقومون بصد ما جاءت به الرسل ((يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) أي يزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل ويضخرفون له العبارات حتى يجعلوه في أحسن صورة، ليغتر به السفهاء ، وينقاد له الأغبياء الذين لا يفهمون الحقائق ، ولا يفقهون المعاني، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة ، والعبارات الموهبة فيعتقدون الحق باطلاً والباطل حقاً، ولهذا قال تعالى : (وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ) أي: ولتميل إلى ذلك الكلام المزخرف (أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) لأن عدم إيمانهم باليوم الآخر وعدم عقولهم النافعة يحملهم على ذلك (وَلِيَرْضَوْهُ) بعد أن يصغوا إليه ، فيصغون إليه أولاً فإذا مالوا إليه ورأوا تلك العبارات المستحسنة رضوه، وزين في قلوبهم، وصار عقيدة راسخة، وصفة لازمة ، ثم ينتج من ذلك أن يقترفوا من الأعمال والأقوال ما هم مقترفون، أي: يأتون من الكذب بالقول والفعل، ما هو من لوازم تلك العقائد القبيحة ، فهذه حال المغترين بشياطين الإنس والجن المستجيبين لدعوتهم ، وأما أهل الإيمان بالآخرة، وأولوا العقول الوافية والألباب الرزينة، فإنهم لا يغترون بتلك العبارات ، ولا تخلبهم تلك التموهيات ، بل همتهم مصروفة إلى معرفة الحقائق، فينظرون إلى المعاني التي يدعوا إليها الدعاة، فإن كانت حقاً قبلوها، وانقادوا لها ، ولو كسبت عبارات وألفاظاً غير وافية، وإن كانت باطلاً ردوها على من قالها كأنها من كان، ولو ألبست من العبارات المستحسنة ، ما هو أرق من الحرير.

ومن حكمة الله تعالى في خلقه للأنبياء أعداء، وللباطل أنصاراً قائمين بالدعوة إليه أن يحصل لعباده الابتلاء والامتحان، لتمييز الصادق من الكاذب، والعاقل من الجاهل، والبصير من الأعمى.

ومن حكمته أن في ذلك بياناً للحق وتوضيحاً له، فإن الحق يستنير ويتضح إذ قام الباطل يصارعه ويقاومه . فإنه - حينئذٍ يتبين من أدلة الحق ، وشواهد الدالة على صدقه وحقيقته ، ومن فساد الباطل وبطلانه، ماهو من أكبر المطالب ، التي يتنافس فيها المتنافسون(□)

ويقول تبارك وتعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) {الفرقان:31} .

ففي هذه الآية بيان سنة الله الماضية في ان جعل الله لكل نبي أعداء يصدون الناس عن اتباعه وكذلك إتباع الأنبياء .

يقول ابن كثير في تفسيره: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) كما حصل لك يا محمد في قومك من الذين هجروا القرآن، كذلك كان في الأمم الماضين، لأن الله جعل لكل نبي عدواً من المجرمين، يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم . كما قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ..) وقد وعد الله تعالى من اتبع رسوله وآمن بكتابه وصدقته واتبعه، فإن الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة)) (بر)

وفي ضلال هذه الآية يقول سيد قطب: " فإن بروز المجرمين لحرب الأنبياء والدعوات يقوي عودها، ويطبعها بطابع الجد الذي يناسب طبيعتها، وكفاح أصحاب الدعوات للمجرمين الذين يتصدون لها - مهما كلفهم من مشقة وكلف الدعوات من تعويق - هو الذي يميز الدعوات الحققة من دعاوى الزائفة، وهو الذي يمحص القائمين عليها، ويطرد الزائفين منهم ، فلا يبقى بجوارها إلا العناصر المؤمنة القوية المتجردة، التي لا تبتغي مغنم قريبة، ولا تريد إلا الدعوة خالصة ، تبتغي بها وجه الله تعالى .

(1) تفسير السعدي: ص 253.

(2) تفسير ابن كثير: 3/322.

وطبيعي إذن أن يستमित أعداء الدعوة الحق في كفاحها، وطبيعي أن تنتصر دعوة الحق في النهاية؛ لأنها تسير مع خط الحياة، وتتجه إلى الأفق الكريم الوضي الذي تتصل فيه بالله، والذي تبلغ عنده الكمال المقدر لها كما أراد الله. (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) (□)

ويقول تعالى: (وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) { الأنعام: 55 } .

ففي هذه الآية بيان لسنة الله التي اقتضت كشف سبيل الصادين عن صراط الله المستقيم، وذلك أن السبيل إذا استبانته واتضحت أمكن اجتنابها.

يقول الطبري: (وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ ..) لفصل لك أعلامنا وأدلتنا في كل حق ينكره أهل الباطل من سائر أهل الملل فنبينها لك حتى تتبين حقه من باطله، وصحيحه من سقيمه. (بر)

" إن سفور الكفر والشر والإجرام ضروري لوضوح الإيمان والخير والصلاح، واستبانة سبيل المجرمين هدف من أهداف التفصيل الرباني للآيات ذلك أن أي غيب أو شبهة في موقف المجرمين وفي سبيلهم ترتد غيباً وشبهة في موقف المؤمنين وفي سبيلهم، فهما صفحتان متقابلتان، وطريقان مفترقتان، ولا بد من وضوح الألوان والخطوط.

وإن أشق ما يعانیه من يريد السير في طريق الاستقامة هو عدم استبانة طريق المسلمين الصالحين، وطريق المشركين المجرمين، واختلاط الشارات والعناوين، والتباس الأسماء والصفات والتهيه الذي لا تحدد فيه مفارق الطريق" (تر).

(1) في ظلال القرآن: 2561/5 - 2562.

(2) تفسير الطبري: 394/11.

(3) في ظلال القرآن: 1105/2 - 1106.

المبحث الثاني

فئات تصد عن اتباع الصراط المستقيم

لا تخلو الدنيا من وجود نوازع الشر والمطامع والأهواء ، وأرباب هذه النوازع لا يصلون الى ما يريدون إلا عن طريق صد الناس عن اتباع طريق الإسلام ، ونشر مبادئ الكفر والإلحاد ، وتزيين الباطل والدعوة اليه . ويقف الباحث مع منهج القرآن الكريم في كشف حقيقة تلك الفئات من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : الكافرون

الكفر صفة تجمع كل من حاد الله ورسوله سواء أكان من اليهود أو النصارى أو المشركين أو المنافقين أو من أنكر ما هو معلوم بالدين بالضرورة والذين يسعون بوسائلهم الماكره الى ابعاد الناس عن نور الله عز وجل المتمثل في دينه الذي بعث به الرسل وختمهم بمحمد ﷺ .

يقول تبارك وتعالى: (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ 8 هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) {الصف: 8-9} .

قال ابن كثير: ((ليطفئوا نور الله بأفواههم)) أي مابعث به رسول الله ﷺ من الهدى ودين الحق بمجرد جدالهم وافترائهم) . (□)

وقال الشوكاني: ((بأفواههم)) بأقوالهم الخارجة من أفواههم المتضمنة للطعن (بر)

وقد ذكر المفسرون أقوالاً لتحديد ماهية الكفر أذكر منها مايلي :

قال ابن الجوزي : " اذا اطلق الكفر على عمومه فإنه يشمل كل من جحد آية من آيات الله عز وجل أو اسماً من أسمائه او صفة من صفاته ... " (تر)

وقال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى : ((ولو كره الكافرون)) لفظ الكفر يشمل كل من كفر بنعم الله من اليهود والنصارى والمشركين وجميع مخالفي الإسلام " (ير)

1) تفسير ابن كثير : 386/3.

2) فتح القدير : 221 / 5 .

3) زاد المسير في علم التفسير : 27 / 1 .

4) تفسير الرازي 316 / 29

وعرف ابن أبي السعود الكفر بأنه : إنكار ما علم بالضرورة مجئ الرسول ﷺ (1) وقال السعدي في تفسير الكفر : بأنه الإستكبار عن الإنقياد لطاعة الله بعبادة غيره سبحانه وتعالى من الاوثان والألوهة والأهواء ، والجحود لما جاء به الرسول ، أو جحد بعضه " (بر)
وبهذا يتبين من تلك الأقوال أن مسمى الكفر ينطبق على مجتمع أو فرد لا يخلص عبوديته لله وحده ، بل يتنكر لشرائع الإسلام وأحكامه ويعمل على صد الناس عن صراط الله المستقيم .

المطلب الثاني

أهل الكتاب (اليهود والنصارى)

لم تذكر أمه من الأمم في القرآن الكريم كذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى . وذلك لتأخذ هذه الأمة حذرهما مما وقع فيه أولئك من كفرهم بالله وقتلهم أنبيائهم وصددهم عن سبيل الله كثيراً ، واتصافهم بصفات الطغيان ، والطمع ، والطيش ، والحسد ، والحقد ، والجرأة على محارم الله .
وقد بين الحق تبارك وتعالى موقفهم المتمثل في عنادهم وعداوتهم للنبي الخاتم محمد ﷺ المصدق لما جاء به الأنبياء من قبله قال تعالى : (وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ } {145} الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } {146} الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) {البقرة: 145 - 147} .
فهذه الآيات تبين حقيقة العداوة وطبيعتها وتخبر عن موقفهم قديماً وحديثاً .

يقول صاحب الظلال : " فهم في عناد يقوده الهوى وتورثة المصلحة ، ويحدوه الغرض إنهم لا يريدون الإسلام، لأنهم يعرفونه فهم يخشونه على مصالحهم وعلى سلطانهم ، ومن ثم يكيدون له ذلك الكيد الناصب الذي لا يفتتر ، بشتى الطرق وشتى الوسائل ، عن طريق مباشر ، وعن طريق أخرى غير مباشرة . يحاربونه وجهاً لوجه ، ويحاربونه من وراء ستار ويحاربونه بأنفسهم ويستهوون من أهله من يحاربه لهم

(1) تفسير أبي السعود : 1 / 35

(2) تفسير السعدي : ص 866

تحت أي ستار وهم دائماً عند قول الله تعالى لنبيه الكريم: (وَلَمَّا أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَاتَبِعُوا قِبْلَتَكَ) (□)

ويقول الحق تبارك وتعالى: (وَلَمَّا تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَمَّا اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) {البقرة: 120}.

يقول الزمخشري في تفسيره: " يخبر تعالى رسوله ، أنه لا يرضى عنه اليهود ولا النصارى إلا باتباعه دينهم فحكى الله عز وجل كلامهم – ولذلك قال : (قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ) على طريقة اجابتهم عن قولهم . يعني أن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق والذي يصح أن يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى ، وما تدعون إلى اتباعه ما هو بهدى إنما هو هوى " (بر)

إنما أخير به القرآن الكريم حقيقة لا تتبدل على مر العصور – وذلك سر الإعجاز – وهو أن اليهود والنصارى وأعوانهم من المشركين والمنافقين وأصحاب الأهواء والمطامع قد ناصبو الإسلام العداء، وترصدوه القرون تلو القرون وحاربوه حرباً لا هوادة فيها منذ الفتح الإسلامي وهزيمة الدولة الرومانية في عهد أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما ، حتى كانت الحروب الصليبية ثم أعقبها تكتل الدول الصليبية في أرجاء الأرض للإجهاز على الخلافة ثم كان الإستعمارالذيخفي الصليبية بين أضلاعه فتبدوا في فلتات لسانه ، ثم كان التبشير الذي مهد للإستعمار وسانده ، ثم كانت وما تزال تلك الحرب المشبوهة على كل طلائع البعث الإسلامي في أي مكان في الأرض ... (تر) .

(1) في ضلال القرآن : 1 / 134

(2) تفسير الزمخشري : 1 / 209 ، ينظر تفسير الطبري 2 / 562 ، تفسير السعدي / ص 65

(3) ينظر في ضلال القرآن : 2 / 923

المطلب الثالث

المنافقون

جاء ذكر المنافقين في القرآن الكريم بطريق الإطناب في ذكر أحوالهم وصفاتهم فقد جاء ذكرهم في سورة البقرة ، وسورة النساء ، وسورة النور ، وسورة الأحزاب ، وسورة محمد ﷺ وغيرها ، كما نزلت فيهم سورتان كاملتان سورة التوبة والمنافقون ... كل ذلك من أجل خطورة موقفهم ، حيث يظهرون الايمان ويبطنون الكفر فيشبهه حالهم على الناس .

والحديث عن خطورة هذه الفئة يطول وسأقتصر على ذكر بعض الأدلة من القرآن الكريم :

يقول المولى عز وجل: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالِيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ {8} يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ {9} فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ {10}) { البقرة 8 - 10 }

قال الزمخشري في تفسيره : " أفتتح الله سبحانه وتعالى سورة البقرة بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم وألسنتهم، ووافق سرهم علمهم وفعالهم قولهم ، ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً قلوباً وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم (مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ...) { النساء: ١٤٣} .

وسماهم المنافقين ، وكانوا أخبت الكفرة وأبغضهم اليه وأمقتهم عنده ؛ لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً وتديساً ، وبالشرك أستهزاءً وخداعاً ولذلك نزل فيهم : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا {145} { النساء : ١٤٥} .

ووصف حال الذين كفروا في آيتين ، وحال الذين نافقوا في ثلاث عشر آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم ، وفضحهم وسفهم واستجھلهم ، واستهزأ بهم ، وتهكم بفعالهم ، وعمههم ودعاهم صماً بكماً عمياً ، وضرب الله بهم الامثال الشنيعة ، وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة " (□)

ويقول تعالى في سورة المنافقين عن بالغ عداوتهم وشدتها(هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْتَى يُؤْفَكُونَ){المنافقون : ٤} ففي هذه الآية بيان أنهم جمعوا في عداوتهم للحق مالم يجتمع في غيرهم ، وأن نكايتهم بالمؤمنين أشد ممن حاله ظاهر في الكفر.

قال ابن جرير : (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ) يقول جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم هم العدو يا محمد فاحذرهم فان ألسنتهم إذا لقوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم ، فهم عين لأعدائكم عليكم(قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْتَى يُؤْفَكُونَ) يقول :أخزاهم الله إلى أي وجه يصرفون عن الحق..."(□)

" والسبب في كون عداوة المنافقين أشد من عداوة الكفار. هو أن الكافر يعرفه الناس ويأخذون الحذر منه ، ويبقى في النفوس بغضه وترقب اليوم الذي يزول فيه . أما المنافق المخادع للناس باسم الإسلام فقد يحبه الناس وينخدعون به فلا يبقى في النفوس بغضه وثمن زواله ، فينشأ من ذلك فتنة وفساد كبير ولذا أمر تعالى بالحذر والتحذير منهم فقال: (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ...) (بر)

يقول ابن كثير في تفسيره : (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ)

" أي اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة ليصدقوا مايقولون ، فيغتر بهم من لايعرف جلية أمرهم فاعتقدوا أنهم مسلمون، فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون، فيحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس ، ولهذا قال تعالى : (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَاكَاثُرًا يَعْمَلُونَ" (تر) وليبيان عداوة المنافقين وصددهم عن سبيل الله يقول الدكتور عبدالوهاب الدليمي :

" إن طبيعة المنافقين في كل عصر أنهم يشتمزون من المعروف ويصرفون الناس عنه إما بالقول أو بما يسخرونه من الوسائل التي من شأنها ، أن تغرس الرذيلة في الفرد والأسرة والمجتمع ، وتحول بين الناس وبين الفضائل من الأعمال والأخلاق ، ويعملون جاهدين على تفكيك عرى المجتمع وتمزيقه بخلق الحجب المصطنعة بين طبقات الأمة وتجعلها مشغولة ببعضها ، كما أن المنافقين يستعملون في إضلال

(1) تفسير الطبري: 102/12.

(2) سورة النساء وموقفها من اليهود المشركين والمنافقين ، رسالة دكتوراه للطاهر أحمد عبد القادر .

(3) تفسير ابن كثير : 7 / 15 – 16.

الناس وسائل الكذب ، وخلف الوعد ، وتظل الأمة تتسلى بالوعود الكاذبة ، وتعيش على الأوهام والأكاذيب ، وتقوم تصوراتها على حقائق مغلوبة لكل شيء يدور في هذه الحياة " (□) ، إن من يريد التعرف على دعوة الإسلام ويرى سلوك المنافقين المناقضة لما يعلنون فإنه يرغب عن الإسلام ، فيصير المنافقون فتنة للذين كفروا . فالكافر الذي لا يعلم الحال يقول : لو كان دينهم حقاً ما كانوا على هذه الصفات كما قال تعالى: (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) {المنافقون:2} .

المطلب الرابع

الشیطان وجنده

من الفئات التي تصد عن اتباع الصراط المستقيم إبليس وجنوده ، فقد جاهر بالعداوة والقعود على الصراط المستقيم . قال الله تعالى حكاية عنه: (قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ {16} ثُمَّ لَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ {17}) {الأعراف : ١٦-١٧} أي قال الشيطان لما أبلس من رحمة الله (فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ) أي للخلق (صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) أي لألزم الصراط ولأسعى غاية جهدي على صد الناس عنه وعدم سلوكهم إياه . (ثُمَّ لَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ) أي من جميع الجهات والجوانب، ومن كل طريق يتمكن فيه من إدراك بعض مقصوده فيهم .

ولما علم أنهم ضعفاء قد تغلب الغلبة على كثير منهم، وكان جازماً ببذل مجهوده على إغوائهم، ظن وصدق ظنه فقال: (وَلَتَجِدُنَّ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) . فإن القيام بالشكر من سلوك الصراط المستقيم، وهو يريد صدهم عنه، وعدم قيامهم به، قال تعالى: (إِنَّمَا يَدْعُو حُزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) {فاطر:6} . وإنما نبهنا الله على ما قال وعزم على فعله لناخذ منه حذرنا ونستعد لعدونا ، ونحترز منه بعلمنا، بالطريق التي يأتي منها ، ومداخله التي ينفذ منها ، فله تعالى علينا بذلك أكمل نعمه) (بر)

(1) معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم : 2 / 830-831.

(2) تفسير السعدي :ص: 284 - 285.

وقال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) {الأعراف: 27}.

ففي هذه الآية يحذر المولى عز وجل بني آدم أن يفعل بهم الشيطان كما فعل بأبيهم: (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ) بأن يزين لكم العصيان ، ويدعوكم إليه، ويرغبكم فيه، فتتقادون له (كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ) وأنزلهما من المحل العالي إلى أنزل منه، فأنتم تريد أن يفعل بكم كذلك ، ولا يالو جهده عنكم حتى يفتنكم ، إن استطاع ، فعليكم أن تجعلوا الحذر منه في بالكم، وأن تلبسوا لأمة الحرب بينكم وبينه، وأن لا تغفلوا عن المواضع التي يدخل منها إليكم . ف(إِنَّهُ) يراقبكم على الدوام و (يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ) من شياطين الجن (مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) فعدم الإيمان هو الموجب لعقد الولاية بين الإنسان والشيطان " (□).

قال مالك بن دينار : (إن عدواً يراك ولا تراه لشديد الخصومة والمؤنة إلا من عصم الله،)
 إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ (قرناء وأعوانا (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ). (بر)
 وقال الزجاج : (سلطانهم عليهم يزيدون في غيبيهم كما قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَّضِعُ الرِّجَالُ) { مريم : 83 } . (تر)

- وقال تعالى: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) {المجادلة: 19} فهذه الآية جاءت بعد ذكر أهل النفاق الذين والوا اليهود على الصد عن سبيل الله، وباعثهم في ذلك استحواذ الشيطان عليهم لغفلتهم عن ذكر الله عز وجل.
 يقول الألويسي في تفسيره: (فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ) أي غلب على عقولهم بوسوسته وتزيينه حتى اتبعوه فكان مستولياً عليهم) (فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ) لم يمكنهم من ذكره عز وجل بما زين لهم من الشهوات فهم لا يذكرونه أصلاً لا بقلوبهم ولا بألسنتهم (أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ) أي جنوده وأتباعه (أَلَا إِنَّ حِزْبَ

(1) تفسير السعدي: ص: 286.

(2) تفسير البغوي: 223/3.

(4) معاني القرآن وإعرابه: 239/2.

الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) أي الموصوفون بالخسران الذي لا غاية وراءه حيث فُوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله العذاب الأليم). (□)

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من فتنة الشيطان وصدّه عن اتباع الصراط المستقيم .فعن سبرة بن الفاكه -رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الشيطان قعد لابن آدم بطريق الاسلام، فقال: تسلم وتذر دينك ودين آباءك؟ فعصاه فأسلم ، وقعد له بطريق الهجره فقال: أتهاجر وتدع أرضك وسمائك فعصاه وهاجر ، وقعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل فتتكح المرأة ويقسم المال، فعصاه وجاهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة " (بر)

وعن فتنة الشيطان في الصد عن اتباع الصراط المستقيم، وتضخيم أوليائه في أعين الناس قال سيد قطب : " إن الشيطان هو الذي يضخم من شأن أوليائه ويلبسهم لباس القوة والقدرة ، ويوقع في القلوب إنهم ذوو صول وطول ، وإنهم يملكون النفع والضر وذلك ليقضي بهم لبناته وأغراضه ، وليحقق بهم الشر في الأرض والفساد، وليخضع لهم الرقاب ويطوِّع لهم القلوب ، فلا يرتفع في وجوههم صوت بالإنكار ، ولا يفكر أحد في الإنقضاء عليهم، ودفعهم عن الشر والفساد . والشيطان صاحب مصلحة في أن ينتفش الباطل، وأن يتضخم الشر وأن يتبدى قوياً قادراً قاهراً بطاشاً جبّاراً ، لا تقف في وجهه معارضة ولا يصمد له مدافع ، ولا يغلبه من المعارضين غالب" (تر) .

(1) تفسير الألو سي : 34/28.

(2) مسند الإمام أحمد: 3/483، سنن النسائي: كتاب الجهاد: 6/21، وقال عنه ابن حجر حديث حسن وصححه ابن حبان : انظر : الإصابة :

120/4

(3) في ظلال القرآن: 1/521.

المطلب الخامس

المنهزمون فكراً وثقافياً

من العوائق والضغائن التي تحول عن اتباع الصراط المستقيم فئة المنهزمين فكراً وثقافياً من أبناء المسلمين الذين تعرضوا للغزو الفكري والثقافي الممنهج من قبل الدوائر الصليبية والصهيونية والماسونية العالمية بعد فشل تلك الدوائر في التغلب على المسلمين عسكرياً في الحروب الصليبية قديماً وحديثاً.

يقول د/ أحمد نوفل: نحن في العالم الإسلامي نتعرض لأخطر حرب نفسية وأكثرها تركيزاً وشراسة كوننا حملة الرسالة الخاتمة، وكوننا أصحاب أعظم ثروات منتظر لأصحابها إن هم تحركوا في الإتجاه السليم أن يسودوا العالم ، ولذلك شنت هذه الحروب لتهديم النفوس، وشل الإرادات..."(□)

لقد عمل اولئك الأعداء على إبعاد الأمة المسلمة عن دينها وقرآنها وسنة نبيها وعزلها عن هويتها وثقافتها بكل السبل نتج عنه أن تخلفت الأمة حضارياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً.

يقول الأستاذ محمد قطب معلقاً على تلك الحال:

"ولم يكتف الأعداء بتنحية الشريعة عن الحكم ... فقد كانوا أخبث من ذلك وأنكى عداوة. لقد أقام اولئك الأعداء المتاريس التي تمنع عودة الأمة إلى الاحتكام إلى شريعة الله من الأجيال التي ربوها على الغزو الفكري ، عن طريق مناهج التعليم ووسائل الاعلام – أجيال لا تعرف الإسلام على حقيقته، بل هي نافرة منسلخة عنه، مسممة الأفكار تجاهه. تدعوا بدعوات الغرب ، وتعتنق أفكاره ، وترفض أن تحكم بشريعة الله بعد أن قيل لها إنها رجعية وجمود وتأخر؟ وتقف أمام صراط الله المستقيم والدعوات إليه بالمرصاد ، سواء منها: المفكرون والكتّاب ، والسينمائيون، والإذاعيون، والتلفزيونيون ، والقصاصون ، والمسرحيون ، والفنانات والفنانون ، والأولاد والبنات (التقدميون) المنحلوا الأخلاق..."(بر)

وعن الأساليب الماكرة لاستهداف الأمة المسلمة وغزوها فكراً وثقافياً وما نتج عنه من إنهزامية يقول : د عبد الوهاب الديلمي:

(1)الإشاعة أداة حرب على الإسلام والمسلمين: تأليف:د/عدنان زهري وآخرون ، ص : 16 .

(2) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر: ص:184 .

"لقد جند التآمر العالمي على الاسلام، جيشاً كبيراً من أبناء المسلمين المنتمين إليه، من الأطباء والمهندسين والدكاترة، والاقتصاديين، والمفكرين، والفلاسفة ونحوهم تربي الكثير منهم في أحضان الصليبية، والماسونية، ثم عادوا إلى بلاد الاسلام، وهم ينتسبون في هوياتهم الشخصية إلى الاسلام، عادوا بإسم العلم والحضارة والتقدم يخدمون الناشئة من أبناء المسلمين، ويلقون إليهم القول محرّفاً عن وجهة الصحيح، ويغرسون في أذهانهم ألواناً شتى من الشبهات، التي تضعف في نفوسهم ثقتهم بدينهم. ويصُمون الإلتزام بدين الله تعالى: ب ((الرجعية)) وأنه لا بد من التفلّت منه لمسيرة حضارة العصر الحديث، وجندوا أنفسهم لتشويه الأخلاق الفاضلة، والقيم الرفيعة، وزينوا مكانها كل ما يحطم ((العقيدة)) والسلوك السوي. ودعوا إلى إطلاق الشهوات من عقائدها، وسحق كل قاعدة تقوم عليها((العقيدة)) الإسلامية. وكان أخطر ما في الأمر أنهم ينتسبون إلى الإسلام، وأرضهم هي: أرض الاسلام، يعلنونه وجه النهار، ويكفرون آخره، يتظاهرون به لئلا ينظر الناس عنهم وتكشف هوياتهم على حقيقتها، يتظاهرون به ليظهروا للناس إشفاقهم عليهم، وحرصهم على مصالحهم، وإخلاصهم النصح لهم. والأجواء في الغالب مهينة لهم، ليعبثوا كيف يشاءون، والوسائل كلها أو غالبها تسير في خدمة الهدف الذي يرمون إليه، والعارفون لحقيقة هذا الدين، ولما يقوم به هؤلاء الأعداء من الكيد لدين الله، بين مغيب في سجن أو مطاردي في الأرض، أو مستضعف صامت" (□)

وفي نهاية هذا المبحث . فإن معرفة تلك الفئات ودراسة أحوالها على ضوء منهج القرآن الكريم وتاريخ سلف هذه الأمة، يُعرّف الأمة طبيعة المعركة التي تخوضها مع أعدائها الذين لا يريدون لها إلا أن تعيش حياة الجاهلية. وبهذه المعرفة تُحدّد كيف تتعامل مع عدوّها فتتوجه لمعركة البناء والتوجيه، وإنشاء التصور الذي تقوم عليه الأمة المستخلفة في الأرض.

المبحث الثالث

أساليب في الصد عن اتباع الصراط المستقيم

تعريف الأسلوب : وردت تعريفات للأسلوب منها :

. الأسلوب : الطريق يقال سلكت أسلوب فلان في كذا .

طريقته ومذهبه وطريقة الكاتب في كتابته (□) .

الأسلوب : الوجهة والمذهب يقال : هم في أسلوب سوء ويجمع على أساليب وقد سلك أسلوبه : طريقته

وكلامه على أساليب حسنة (بر)

ومن خلال هذه التعريفات يتبين لنا أن الصد عن اتباع الصراط المستقيم له طرق ومذاهب وأوجه متعددة

وإن اتحدت في هدفها العام .

وقد بين الحق تبارك وتعالى الأساليب التي يمارسها أعداء الحق للصد عن صراطه المستقيم وأجمل هدف

أولئك الأعداء في قوله تعالى (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ

مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

فِيهَا خَالِدُونَ). {البقرة: ٢١٧} .

" و هذا التقرير من العليم الخبير يكشف عن الإصرار على الشر وعلى فتنة المسلمين عن دينهم بوصفها

الهدف الثابت المستقر لأعدائهم وتكشف عن تنوع أساليب قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته المختلفة ،

ولكن الهدف يظل ثابتاً. " (تر)

هذا ما سأبيته في هذا المبحث من خلال الوقوف على بعض تلك الأساليب بصورة موجزة من خلال

المطالب التالية:

(1) المعجم الوسيط : 1 / 441 .

(2) تاج العروس : 3 / 71 .

(3) في ظلال القرآن : 1 / 228 .

المطلب الأول

الحرب الفكرية والثقافية

تعد الحرب الفكرية والثقافية من الأساليب الأبلغ في الصد عن الصراط المستقيم والقصد منها : بلبلة الأفكار في المجتمع المسلم ، وإشاعة الشك والإضطراب وقد لجأ الأعداء إلى هذا الأسلوب قديماً وحديثاً . فشككو الناس في صدق الرسل ، وعمدوا إلى تشويه التاريخ الإسلامي ، وسيرة الفاتحين والفضلاء من علماء ومفكرين وقادة .

" إن الهزائم العسكريه عرضيوزول ، أما الهزائم الثقافية ، فجرح مميت ، والثقافة الصحيحة تبني الإنسان المسلم ، والأسرة المسلمة ، والمجتمع المسلم والدولة المسلمة على قواعدها المتينة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهدى الخلفاء الراشدين ، ومن سار على نهجهم " (□) وسأقف في هذا المطلب مع نماذج من الحرب الفكرية والثقافية التي لجأ إليها الأعداء بعد عجزهم عن مواجهة دعوة الحق :

1. السخرية والاستهزاء :

أسلوب السخرية والاستهزاء أسلوب طالما استعمله الأعداء ضد المؤمنين بالله سبحانه وتعالى ، وهو أنكى وأوقع على النفس البشرية في بعض الأحيان من الحرب المادية .

وقد واجه النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله ومن يحمل دعوتهم في كل زمان ومكان هذا الأسلوب : يقول الحق تبارك وتعالى : وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ {10} وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ {11} (الحجر : 11.10)

يقول ابن كثير : يقول تعالى مسلماً لرسوله صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من كفار قريش إنه أرسل من قبله في الأمم الماضية وأنه ما أتى أمة من رسول إلا كذبوه واستهزؤوا به . (بر)

(1) دولة السلاجقة : د / محمد علي الصلابي ص 16 . 17 .

(2) تفسير ابن كثير : 2 / 566

ويقول سيد قطب في ظلال هذه الآية : "وعلى هذا النحو الذي تلقى به المكذبون أتباع الرسل ماجاءهم به رسلهم ،يتلقى المكذبون المجرمون من أتباعك ماجئتهم به . وعلى هذا النحو يجري هذا التكنيب في قلوبهم التي لاتتدبرولا تحسنا لإستقبال . جزاء ما أعرضت ، و أجرت في حق الرسل المختارين(كَذَلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ)نسلكه في قلوبهم مكذباً بما فيه مستهزأ به ؛ لأن هذه القلوب لاتحسن أن تتلقاه إلا على هذا النحو سواء في هذا الجيل أم في الأجيال الخالية أم في الأجيال اللاحقة ، فالمكذبون أمة واحدة من طينة واحدة (وَقَدْ خَلَقْتَ سُنَّةَ أَلْأُولَئِينَ) وليس الذي ينقصهم هوتوافر دلائل الإيمان ، فهم معاندون ومكابرون ، مهما تأتهم من آية بينة فهم في عنادهم ومكابرتهم سادرون " (□)

. ويقول تعالى : (وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَنْخُذُونَكَ إِذَا هُزُوا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا {41} إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا {42}) {الفرقان : 41- ٤٢} أي وإذا رآك يا محمد هؤلاء المكذبون المعاندون لآيات الله - المستكبرون في الأرض استهزؤوا بك واحتقروك - وقالوا - على وجه الإحتقار والاستصغار (أَهَذَا الَّذِي بَعَثْنَا لَلْهُرُوسُ) أي : غير مناسب ولا لائق أن يبعث الله هذا الرجل ، وهذا من شدة ظلمهم وعنادهم وقلبيهم الحقائق فإن كلامهم هذا يفهم أن الرسول - حاشاه - في غاية الخسة والحقارة وانه لو كانت الرسالة لغيره لكان أنسب .

فهذا الكلام لا يصدر إلا من أجهل الناس وأضلمهم ، أو من اعظمهم عناداً وهومتجاهل ، قصده ترويح مامعه من الباطل بالقدح بالحق وبمن جاء بهوإلا فمن تدبر أحوال محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وجده رجل العالم وهمامهم ومقدمهم في العقل والعلم واللب والرزانة ، ومكارم الأخلاق ومحاسن الشيم والعبفة والشجاعة والكرم وكل خلق فاضل ، وأن المحتقر له والشائئ له قد جمع من السفه والجهل والضلال والتناقض والظلم والعدوان ما لا يجمعه غيره ، وحسبه جهلاً وضلالاً أن يقده بهذا الرسول العظيم والهمام الكريم . (بر)

2. الرمي بالبشرية ، ومخالفة ما عليه الآباء ، والجنون ، والحصول على الملك والسلطان ونحوها ..

(1) في ظلال القرآن : 4 / 2119

(2) تفسير السعدي : ص 583

قذف الأنبياء وأتباعهم من الدعاة والمصلحين بهذه التهم وغيرها أسلوب مآكر يمارسه أعداء الإسلام ويحاولون إتقانه وإشاعته وتسخير كثير من الإمكانيات والوسائل لاستخدامه حتى يتمكنوا من الحط من قيمة الدعاة إلى الله ، وتحطيم مكانتهم ومهابتهم عند العامة فينصرف الناس عنهم فلا يقتدي بهم ، ولا يسمع لهم ولا تتحرج السنة السفهاء من النيل وإشاعة الأباطيل والافتراءات نحوهم . (□)

والأمثلة على اتخاذ هذا الأسلوب كثيرة أذكر منها ما يلي :

موقف قوم نوح عليه السلام من دعوته ، وكذا مواقف المكذبين بالرسول من بعده واتهامهم بتلك الافتراءات .

يقول الحق تبارك وتعالى : (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ {24} } إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبِّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ {25} } (المؤمنون: 24-25)

فهذه الآيات تتحدث عن موقف الملأ . على وجه المعارضه لنبيهم نوح عليه السلام والتحذير من اتباعهم (ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) أي ما هذا إلا بشر مثلكم، قصده حين ادعى النبوة أن يزيد عليكم فضيلة ، ليكون متبوعاً ، وإلا فما الذي يفضله عليكم .

وهكذا قال الملأ من قوم فرعون لموسى عليه السلام : (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ) { يونس : ٧٨ } .

وقال الملأ من قريش (وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ {6} مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْأَخْرَىٰ إِنَّ هَذَا إِلَّا خِطَابٌ {7}) {سورة ص: 6-7}

يقول السعدي في تفسيره : (وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ) المقبول قولهم محرضين قومهم على التمسك بما هم عليه من الشرك (أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ) أي : استمروا عليها ، وجاهدوا نفوسكم في الصبر عليها وعلى عبادتها ، ولا يردكم عنها راد ، ولا يصدنكم عن عبادتها صاد . (إِنَّ هَذَا) الذي جاء به محمد ، من النهي عن عبادتها (لَشَيْءٌ يُرَادُ) أي يقصد ، أي : له قصد ونية غير صالحه في ذلك ، وهذه شبهة لاتروج إلا

(1) ينظر : معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم : 2 / 656 بتصرف

على السفهاء ، فإن من دعا الى قول حق أو غير حق ، لا يرد قوله بالضح في نيته ، فنيته وعمله له ، وإنما يرد بمقابلته بما يبطله ويفسده ، من الحجج والبراهين ، وهم قصدهم ، أن محمداً ، مادعاكم إلى مادعاكم ، إلا ليرأس فيكم ، ويكون معظماً عندكم ، متبوعاً .

(مَاسْمِعُنَا بِهَذَا) القول الذي قاله ، والدين الذي دعا إليه (فِي الْمَلَّةِ الْآخِرَةِ) أي : في الوقت الأخير ، فلا أدركنا عليه آباءنا ، ولا آباؤنا ، أدركوا آباءهم عليه ، فامضوا على الذي مضى عليه آباؤكم ، فإنه الحق ، وما هذا الذي دعا إليه محمد إلا اختلاق اختلقه وكذب افتراه، وهذه أيضاً شبهة من جنس شبهتهم الأولى ، حيث ردوا الحق بما ليس بحجة لرد أدنى قول ، وهوانه قول مخالف لما عليه آباؤهم الضالون فأين في هذا ما يبدل على بطلانه " (□)

ولم يكتف الملائكة من قريش بذلك بل رموا النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون كما رمي من قبله من الأنبياء ، وهم يعلمون رجاحة عقله وكمال أمانته وصدقه فقد ارتضوه حكماً في وضع الحجر الأسود (بر) حين كادت الفتنة تشتعل نارها فيما بينهم ، وكان المستأمن على وداعئهم ، التي ظل الكثير منها عنده حتى ردها لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد خروجه عليه الصلاة والسلام منها مهاجراً إلى المدينة (تر) قال تعالى منكرًا عليهم : (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ {184}) {الأعراف : ١٨٤} .

وقال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ {46}) {سبا : ٤٦} .

فهذه الآيات تدعو إلى أعمال النظر والتفكير والتأمل في شأن صاحبهم - أي محمد عليه الصلاة والسلام - الذي صاحبه زمناً طويلاً وعرفوه حق المعرفة ، وهل تأملوا فيما جاءهم به مما لا يستطيع أن يأتي به بشر عاقل ، فكيف بالمجنون ألم يعجزوا عن الإتيان بمثل سورة من القرآن الذي جاءهم به ، أفيكون هذا صنع مجنون ؟

1) تفسير السعدي : ص 710

2) السيرة النبوية لابن هشام : ص 79

3) المرجع السابق : 179

وكما رُمي النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله بأنواع من المطاعن والشبهات . فنجد اليوم من يطعن في ورثة دعوة الأنبياء من العلماء والدعاة . وذلك لايجاد الهوة بينهم وبين عامة الناس، حتى تظل ثقة العامة بهم مفقودة أو مهزوزة ، فيظل صدقهم محل ريب وشك . فيُرمون بأنهم مهسترون ، أصحاب عقول قديمة ، متحجره ، عضة ، وأنهم مايزالون حجر عثرة أمام التقدم..."(□)

جاء في كتاب الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام : " لقد نجح يهود وعملائهم في محاربة رجال الدين وإسقاط الهالة القدسية عنهم ، مما جعلهم عرضة لاحقتار رجل الشارع الذي يصدق دعاية اليهود ويستمري التحلل من الدين ومواعظ رجال الدين . " (بر)

3 . مؤسسات الضرار :

من وسائل وأساليب الحرب الفكرية والثقافية لأعداء الصراط المستقيم العمل على إيجاد وسائل ومنابر تضاهي وسائل دعاة الحق من مساجد وأندية ومؤسسات علمية وثقافية وإعلامية واجتماعية ظاهرها الدعوة إلى البر والعطف على الناس وهي تضمر خلخلة المجتمع فكرياً وثقافياً ، وتعمل على تفريق الصفوف وزعزعة العقيدة في النفوس ، ومشابهة أعداء الإسلام ومولاتهم ونشر ثقافتهم والاعترايمبادتهم وقد حكى الله عزوجل حربهم القديمة في بناء مسجد الضرار .

يقول تعالى : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} {107} لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} {108} أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} {109} لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} {110}) { التوبة : 107 - 110 }

(1) ينظر : معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم للدكتور عبد الروهاب الديلمي . 731 / 2 .

(2) الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية : صادق أمين ص 23 .

قال ابن جرير في تفسيره لهذه الآيات : " فتأويل الكلام والذين ابتنوا مسجداً ضراراً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفراً بالله لمحادثهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويفرقوا به المؤمنين ، ليصلي فيه بعضهم دون مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيختلفوا بسبب ذلك ويتفرقوا (وَأِرْصَادُ الْمَنَحَارِبِ بِاللَّهِ وَسُؤْلُهُمْ مَنَقَبُ) يعني من قبل بنائهم ذلك المسجد . وذلك أن أبا عامر (الراهب) الذي لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق . هو الذي كان ممن حزب الأحزاب لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما خذله الله . لحق بالروم يطلب النصر من ملكهم على نبي الله ، وكتب إلى أهل مسجد الضرار يأمرهم ببناء المسجد الذي كانوا بنوه ، فيما ذكر عنه ، ليصلي فيه ، فيما يزعم ، إذا رجع إليهم . ففعلوا ذلك (وَلْيَحْلِضَنَّ إِنِ ارْتَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى) يقول جل ثناؤه وليحلفن بانوه (إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى) بينائنا، إلا الرفق بالمسلمين والمنفعة والتوسعة على أهل الضعف والعللة ومن عجز عن المصير مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) في حلفهم ذلك ، وقيلهم : ((ما بيناه إلا ونحن نريد الحسنى)) ولكنهم بنوه يريدون بينائه السُّوْأى، ضراراً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكفراً بالله ، وتضيقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لأبي عامر الفاسق. (□)

واليوم نجد أعداء الصراط المستقيم من يهود ونصارى ومناققين وأهل أهواء وبدع ومنكرات ، عملوا على إيجاد وإنشاء مؤسسات الضرار في أصقاع المعمورة بعد عجزهم عن مجابهة الإسلام ظاهراً وهذا الأسلوب غاية في المكر، وهو أسلوب يعمل على تمزيق الصف من الداخل ، وبيث الشكوك بين المؤمنين وزعزعة الثقة في ما بينهم ، ومحاولة بث الإضطراب والإرجاف والتخذيل ، واتخاذ معاقل الضرار التي تغطي مساوئهم ومؤامراتهم ، وينطلقون فيها لتنفيذ مخططاتهم ومؤامراتهم الماكرة تحت غطاء معاقل مشروعة في الظاهر. (بر)

¹تفسير الطبري : 14 / 468 - 469 ، ينظر : أسباب النزول للواحي ص 149 - 150
²ينظر : معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم . د / عبد الوهاب الديلمي . بتصرف : 2 / 844

المطلب الثاني

الحرب النفسية

عندما يعجز أعداء الصراط المستقيم من الوصول إلى أهدافهم في زعزعة الإيمان عن طريق الخلطة الفكرية والثقافية فإنهم يلجئون إلى أسلوب الحرب النفسية المتمثلة في الإخراج من الديار أو الحبس أو القتل أو غير ذلك من الأساليب .

ويقف الباحث مع تلك الأساليب للحديث عنها بصورة موجزة :

أ - الإخراج من الديار :

بين الحق تبارك وتعالى موقف المكذبين بالرسول والصادقين أتباعهم عن صراطه المستقيم . توعدهم بإخراج المؤمنين من ديارهم ومن الآيات الدالة على ذلك ما يلي :

. يقول تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ {13} وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبَدَ {14}) { إبراهيم : 13-14 } .

قال السعدي في تفسيره لهذه الآية : " لما ذكر المولى سبحانه وتعالى دعوة الرسل لقومهم ودوامهم على ذلك وعدم مللهم . ذكر ماوصلت بهم الحال مع قومهم فقال : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ) متوعددين لهم : (لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا) وهذا أبلغ ما يكون من الرد ، وليس بعد هذا فيهم مطمع لأنه ما كفاهم أن عرضوا عن الهدى بل توعدوهم بالإخراج من ديارهم ونسبوها إلى انفسهم وزعموا أن الرسل لاحق لهم فيها ، وهذا من أعظم الظلم ، فإن الله أخرج عباده إلى الأرض ، وامرهم بعبادته ، وسخر لهم الأرض وما عليها يستعينون بها على عبادته .

فمن استعان بذلك على عبادة الله حل له ذلك وخرج من التبعة ، ومن استعان بذلك على الكفر وأنواع المعاصي ، لم يكن ذلك خالصاً له ، ولم يحل له فعلم أن أعداء الرسل في الحقيقة ليس لهم شيء من الأرض التي توعدوا الرسل بإخراجهم منها . وإن رجعنا إلى مجرد العادة فإن الرسل من جملة اهل بلادهم

، وافراد منهم ، فألّٰى شىء ىمنعونهم حقاً لهم صريحاً واضحاً ؟ اهل هذا إلامن عدم الدين والمروءة بالكلية .
" (□)

وفى ظلال هذه الآية : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا...)

يقول سيد قطب : " هذا الموكب الكريم الممتد في شعاب الزمان من قديم ، يواجه كما يتجلى في ظلال القرآن - مواقف متشابهة وأزمات متشابهة ، وتجارب متشابهة على تطاول العصور وكرّ الدهور ، وتغير المكان ، وتعدد الأقوام . يواجه الضلال، والعمى ، والطغيان، والهوى ، والإضطهاد والبغي ، والتهديد ، والتشريد . ولكنه يمضي في طريقه ثابت الخطو، مطمئن الضمير ، واثقاً من نصر الله ، متعلقاً بالرجاء فيه ، متوقفاً في كل لحظة وعد الله الصادق الأكيد. (بر)

ويقول تعالى واصفاً طبيعة الأعداء المتشابهة في جانب خاتم الأنبياء وسيد الرسل أجمعين الذي أخرجوه من دياره ووطنه :-

(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) { الأنفال : ٣٠ }

ويقول تعالى: (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) {الإسراء : ٧٦}

ويقول تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ...) {الممتحنة : ١ }

إننا نرى ونعايش ما يندى له الجبين أن تشرذ شعوباً من أوطانها وتحتل ديارها بل تسوى بالأرض في ظل دعاوى التسامح الديني ، والعالم الحر المعاصر ، واحترام حقوق الانسان. والشواهد لا تكاد تحصى أذكر منها:

^(١) تفسير السعدي : ص 423.

^(٢) في ظلال القرآن : 1 / 12 .

- موقف الجنرال غورو الفرنسي وهو يضع قدمه على قبر صلاح الدين وهو يقول: "ها قد عدنا يا صلاح الدين؟ نحن أبناء الصليبيين؟ ومن أعجبه حكمننا فليبق ومن لم يعجبه حكمننا فليغادر البلاد"⁽¹⁾

ب - الحبس وإنزال صنوف الإيذاء والفتنة:

يلجأ أعداء الصراط المستقيم إلى استخدام وسائل لا تمت بصلة إلى خلق ولا إلى مروءة عندما يعجزون عن مواجهة الحجة بالحجة منها:-

الحبس وإنزال صنوف الإيذاء والفتنة بمن يخالفهم ولا يوافقهم والأمثلة على استخدام هذا الأسلوب متعددة أذكر منها ما يلي:

- ما ذكره الله تعالى حكاية عن قول فرعون لموسى عليه السلام: (قَالَ لئن اتَّخَذْتَ إِلهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ) {الشعراء: 29- 30}.

(قَالَ) فرعون حين لزمته الحجة وانقطع عن الجواب - تكبراً عن الحق : لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين) من المحبوسين . قال الكلبي: كان سجنه اشد من القتل، لأنه كان يأخذ الرجل فيطرحه في مكان وحده فرداً لا يسمع ولا يبصر فيه شيئاً يهوي به في الأرض.

(قال) له موسى حين توعد بالسنن (أَوْلَوْ جِئْتُكَ) أي : وإن جئتك (بشئاً مبيناً) بآية مبينة ، ومعنى الآية : أتفعل ذلك وإن أتيتك بحجة بينة؟ وإنما قال ذلك موسى لأن من أخلاق الناس السكون إلى الإنصاف والإجابة إلى الحق بعد البيان" (بر)

وروى ابن اسحاق : عن سعيد بن جبير، قال: قلت لعبدالله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم - أي في الظاهر مع اطمئنان قلوبهم - قال نعم: والله إن كان ليضرب أحدهم ويجيعونه ويعطشونه ، حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتى يقول له: اللات والعزى إلهك من

(1) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر : محمد قطب: ص: 161 ، قادة الغرب يقولون: دمرُوا الإسلام أبديوا أهله : جلال العالم ، ص:

(2) ينظر تفسير البغوي : 6/ 111 ، تفسير الزمخشري الكشاف: 3/ 314.

دون الله؟ فيقول : نعم، حتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون له: أهذا الجعل إلهك من دون الله فيقول نعم إفتداءً منهم مما يبلغون من جهده. (□)

ج - التهديد بالقتل:

ومن الأساليب التي يستعملها أعداء الحق في الصد عن اتباع الصراط المستقيم. التوعد بالقتل لمن يخالفهم والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

- توعد قوم نوح عليه السلام أن يقتلوه شر قتلة قال تعالى عنهم: (قَالُوا لَنْ لَمُ تَنْتَه يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) {الشعراء:116} . قال الراغب: "أي المقتولين أقبح قتلة " (بر)
- توعد آزر إبراهيم عليه السلام ، كما في قوله تعالى عنه: (قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا) {مريم:46} .
- توعد قوم شعيب عليه السلام قال تعالى عنهم: (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَكَوْلًا رَهْطًا كَرَجْمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) {هود:91} .
- قتل فرعون لندرية بني اسرائيل قال تعالى: (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرِكَ آلِهَتُكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) {الأعراف:127} .
- قتل بني اسرائيل لأنبيائهم ولمن يأمر بالقسط من الناس قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) {آل عمران:21} .
- قتل أصحاب الأخدود المؤمنين بالله بتحريقهم بالنار قال تعالى: (قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) {البروج:4- 9} .

(1) ينظر السيرة النبوية لابن هشام:320/1 ، زاد المعاد في هدي خير العباد 23/3.

(2) المفردات : 190 .

○ محاولة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) {الأنفال:30} .

إن الشواهد لممارسة اسلوب التهديد بالقتل لصد الناس عن نصره دين الله وإعلاء كلمته تملأ الآفاق.

المطلب الثالث

الحرب الاجتماعية والأخلاقية

من الأساليب التي تصد من اتباع الصراط المستقيم إفساد المجتمعات الإسلامية عن طريق إشاعة الفواحش ، والترويج للرديلة ومحاربة الفضيلة، والعمل بكل الوسائل لإبعاد المرأة المسلمة عن دورها الريادي والحضاري في تنشئة أجيال مسلمة.

وقد بين المولى تبارك وتعالى هدف دعاة الأهواء وعابدي الشهوات وحذر من اتباعهم فقال عز وجل: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {26} وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا {27} يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّضَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا {28}) {النساء: 26- 28} .

يقول البغوي في تفسيره : (والله يريد أن يتوب عليكم...) إن وقع منكم تقصير في أمر دينه (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا) عن الحق (مَيْلًا عَظِيمًا) بإيثاركم ما حرم عليكم.

واختلفوا في الموصوفين باتباع الشهوات ، قال السدي: هم اليهود والنصارى ، وقال بعضهم : هم المجوس لأنهم يحلون نكاح الأخوات وبنات الأخ والأخت. وقال مجاهد : هم الزناة يريدون أن تميلوا عن الحق فتزنون كما يزنون ، وقيل : هم جميع أهل الباطل.

(يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّضَ عَنْكُمْ) يسهل عليكم في أحكام الشرع.

وقد سهل كما قال جل ذكره: (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) {الأعراف:157} .

(وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا). قال طاووس والكلبي وغيرهما في أمر النساء ، لا يصبر عنهن، وقال ابن كيسان : (وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) "يستميله هواه وشهوته". (□)

(1) تفسير البغوي: 2/199، ينظر تفسير الطبري: 8/212 - 214.

ويقول السعدي في تفسيره: (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ) أي يميلون معها حيث مالت ويقدمونها على ما فيه رضا محبوبهم، ويعبدون أهواءهم من أصناف الكفرة والعاصين، المقدمين لأهوائهم على طاعة ربهم، فهؤلاء يريدون (أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا) أي أن تنحرفوا عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم والضالين.

(يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا): أي بسهولة ما أمركم به وما نهاكم عنه، وذلك لرحمته التامة وإحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الانسان من جميع الوجوه، ضعف البنية، وضعف الإرادة، وضعف العزيمة، وضعف الايمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته. (□) وفي ظلال هذه الآيات يقول سيد قطب: "إنما يريد الله الذين يتبعون الشهوات فهو أن يطلقوا الغرائز من كل عقال: ديني أو أخلاقي، أو اجتماعي، يريدون أن ينطلق السعار الجنسي بلا حاجز ولا كايح، من أي لون كان، السعار المحموم الذي لا يقر معه قلب، ولا يسكن معه عصب، ولا يطمئن فيه بيت، ولا يسلم معه عرض، ولا تقوم أسرة

وهذا هو الميل العظيم الذي يحذر الله المؤمنين إياه، وهو يحذرهم ما يريد الله الذين يتبعون الشهوات . وقد كانوا يبذلون جهدهم لرد المجتمع المسلم إلى الجاهلية في هذا المنهج الأخلاقي، الذي تفوقوا فيه وتفردوا بفعل المنهج الإلهي القويم النظيف. وهو ذاته ما تريده اليوم الأقلام الهابطة والأجهزة الموجهة لتحطيم ما بقي من الحواجز في المجتمع دون الإنطلاق البهيمي، الذي لا عاصم منه إلا منهج الله حين تقره العصبية المؤمنة في الأرض إن شاء الله" (بر).

(1) تفسير السعدي: ص: 175.

(2) في ظلال القرآن : 631/2 - 632.

المطلب الرابع

غياب القدوة الحسنة (السلوك المشين)

ليس الصد عن سبيل الله موقوف على العدوان الظاهري المتمثل في عداوة الكافرين بمختلف مللهم ونحلهم لهذا الدين، فقد يكون الصد عن اتباع الصراط المستقيم ممن ينتسبون للإسلام ويظهرون التمسك والصلاح ويعملون أعمالاً تخالف ما يظهرونه ويدعونه.

وقد أنكر المولى تعالى فعلهم ذلك في أكثر من موضع في القرآن الكريم اذكر منها مايلي:

يقول تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) {الصف: 2- 3}

قال الطبري في تفسير هذه الآية: يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا وصدقوا الله ورسوله، لم تقولون القول الذي لا تصدقونه بالعمل، فأعمالكم مخالفة أقوالكم (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) يقول: "عظم مقتاً عند ربكم قولكم ما لا تفعلون" (□)

ويقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه.

وقصد في (كَبُرَ) التعجب من غير لفظه . ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين وأسند إلى (أَنْ تَقُولُوا) ونصب (مَقْتًا) على تفسيره، دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص ، لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه.

واختير لفظ ((المقت)) لأنه أشد البغض وأبلغه (عِنْدَ اللَّهِ) أبلغ من ذلك، لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبر مقته وشدته، وانزاحت عنه الشكوك. (بر)

وقال القاسمي: في تكرار قوله تعالى: (مَا لَا تَفْعَلُونَ) وهو لفظ واحد ، في كلام واحد: ((التهويل والإعظام)). (تر)

(1) تفسير الطبري : 79/12 .

(2) الكشف : 523/4 .

(3) تفسير القاسمي: 5782/16 .

ويقول تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين: (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (المتحنة: 5).

قال مجاهد في قوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا...) (معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعداب من عندك فيقولوا : لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا ، وكذا قال الضحاك .

وقال قتادة: " لا تظهرهم علينا فيفتنوا بذلك، يرون إنما ظهرنا علينا لحق هم عليه" (□)

"إن القدوة هي أهم عامل في اتباع الناس لدين الله، ولا خير في داعية يقول ولا يكون أول من يطبق على نفسه ما يقول ، إنه بذلك يكون قاطع طريق ، يقطع طريق الجنة على الذين يريدون السير فيه، لأنهم لا يرون في عمله ما يطابق قوله، فيقولون في أنفسهم لو كان ما يقوله حقاً يؤمن به لكان أول من يعمل بما يطالب به الناس" (بر) ويقول تعالى: (اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (البقرة: 44) ففي هذه الآية ينكر الله عزوجل على من يأمر الناس بالبر وهو لا يطبق ما يأمر به فيؤذي ذلك إلى نضور الناس عن اتباع الحق والهدى.

يقول سيد قطب في ظلال هذه الآية: "الدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه، هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك لا في الدعاة وحدهم ولكن في الدعوات ذاتها ، وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم، لأنهم يسمعون قولاً جميلاً ، ويشهدون فعلاً قبيحاً ، فتتملكهم الحيرة بين القول والفضل ، وتخبوا في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة ، وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشعه الإيمان ، ولا يعودون يثقون في الدين بعد ما فقدوا ثقتهم برجال الدين. (تر)

ويقول الدكتور عبدالوهاب الديلمي: " الناس اليوم لا تنقصهم الكلمة كما تنقصهم القدوة الحسنة التي يتمثل الإسلام في حياتها وسلوكها . إن الذي يدعوا الناس إلى الحق ، ثم لا يكون سباقاً إليه بفعله ،

(1) تفسير القرطبي : 57/18 ، تفسير ابن كثير: 626/6.

(2) الملهم الموهوب ، حسن البنا : عمر التلمساني ص: 53.

(3) في ظلال القرآن : 68/1.

يجعل الناس في شك من صدقه فيما يدعوا إليه ، إذ لو كان ما يدعوا إليه حقاً لسبق الناس إليه، أما إذا خالف قوله فعله فإن ذلك دليل على عدم اقتناعه بما يدعوا إليه" (□)

لقد حدد الغزالي أهمية القدوة الحسنة في سيرة العلماء والدعاة فقال: " إن التبعة الكبرى في فساد الأمة والضعف في الدين والإنحلال في الأخلاق تقع على العلماء ، وحدد نموذج المؤمن المطلوب بقوله: فكن أحد رجلين إما مشغولاً بنفسك ، وإما متفرغاً لغيرك بعد الفراغ من نفسك ، وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك" (بر)

الخاتمة:

حمداً لله على توفيقه وشكراً له على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، وصلاةً وسلاماً على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد/ فهذه خلاصة البحث وأهم النتائج:

- 1 - الصراط المستقيم هو الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً للأنبياء والمرسلين وختم به رسالة النبي صلى الله عليه وسلم المتمثلة في الوحيين (الكتاب والسنة) .
- 2 -ورد في القرآن الكريم مرادفات للصراط المستقيم منها: الرشد، السبيل، التوسط، الحنيفية.
- 3 -الصد عن اتباع صراط الله المستقيم سنة أرادها الله عز وجل ، وذلك ليظهر الحق في أنصع صورته ويضمحل الباطل وقد تبدى للناس سواته.
- 4 -لا تخلوا الدنيا من وجود نوازع للشر والمطامع والأهواء ، وأرباب هذه النوازع لا يصلون إلى تحقيق ما يريدون إلا عن طريق صد الناس عن اتباع منهج الإسلام.
- 5 -معرفة الفئات التي تصد عن اتباع الصراط المستقيم ودراسة أحوالها على ضوء منهج القرآن الكريم وتاريخ سلف هذه الأمة، يعرف الأمة طبيعة المعركة التي تخوضها مع أعدائها الذين لا يريدون لها إلا أن

(1) معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم: 1/590 -591.

(2) إحياء علوم الدين: 3/54.

تعيش حياة الجاهلية .وبهذه المعرفة تحدّد كيف تتعامل مع عدوها . ففتوجه لمعركة البناء والتوجيه وإنشاء التصور الصحيح الذي تقوم عليه الأمة المستخلفة.

6 -أساليب الصد عن اتباع الصراط المستقيم متعددة ولكنها مجتمعة لتحقيق هدف واحد هو إبعاد الناس عن نور الله عز وجل المتمثل في دينه الذي أرسل الله به الرسل.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد الغزالي (دار الندوة الجديدة ، بيروت ، ط: بدون).
2. أسباب النزول للواحي (دار بن كثير ،دمشق ، بيروت ط:الأولى 1985م).
3. إغاثة اللفظان من مصاديق الشيطان :لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق: محمد حامد الفقي(دار المعرفة ، بيروت ، ط: الثانية ، 1975م)
4. الإشاعة أداة حرب على الإسلام والمسلمين . د عدنان زهري وآخرون (دار زهران للنشر ، عمان ، ط: الأولى، 2005م).
5. الإصابة في تمييز الصحابة: لأحمد بن علي حجر العسقلاني ، تحقيق: علي محمد البجاوي (دار الجبل ، بيروت ، ط: الأولى ، 1412هـ)
6. السيرة النبوية : لابن هشام (دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى 2000م).
7. المستدرك على الصحيحين : لمحمد بن عبدالله النيسابوري الحاكم (دار الكتب العلمية ، بيروت، ط: الأولى ، 1990م).
8. المعجم الوسيط : أحمد الزيات وآخرون (دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية، ط: بدون).
9. المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين المشهور بالراغب الأصفهاني (دار القلم الشامية ، بيروت ، ط: الأولى 1412هـ).
10. الملهم الموهوب : حسن البنا لعمر التلمساني: (دار الأنصار ، القاهرة ، ط: بدون).
11. النهاية في غريب الحديث والأثر : لمحمد بن الجوزي(دار إحياء الكتب العربية ط: البابي الأولى ، 1963م).

12. تاج العروس من جواهر القاموس : لمحمد بن مرتضى الزبيدي (دار الفكر ، بيروت، ط: الأولى 1414هـ).
13. تفسير ابن كثير : للحافظ إسماعيل أبو الفداء (دار الفكر، بيروت ، ط : الثانية، 1970م).
14. تفسير أبو السعود محمد بن أحمد العمادي (دار الكتب العلمية ، بيروت، ط: الأولى، 1999م).
15. تفسير الألوسي لمحمود الألوسي (دار إحياء التراث العربي، بدون، ط: الأولى ، 2000م)
16. تفسير البغوي : لحسين بن مسعود البغوي (دار طيبة ، ط: الرابعة ، 1997م)
17. تفسير الجلالين : (دار ابن كثير ، دمشق ، ط: الرابعة عشر ، 2010م).
18. تفسير الرازي لفخر الدين الرازي (دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط: الأولى، 2000م).
19. تفسير السعدي : لعبد الرحمن بن ناصر السعدي : (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط: الأولى، 2000م)
20. تفسير الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير (دار الكتب العلمية، بيروت ، ط: الثالثة، 1999م).
21. تفسير القاسمي : لمحمد بن جمال الدين القاسمي ، تحقيق :محمد باسل عيون السود (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط : الأولى ، 1418هـ).
22. تفسير القرطبي لأبي عبدالله محمد القرطبي (دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: الثانية، 1964م).
23. تفسير الكشاف: لأبي القاسم محمود الزمخشري (دار الكتاب العربي، بيروت، ط : الثانية 2001م).
24. دولة السلاجقة: د. محمد علي الصلابي (دار المعرفة ، بيروت ، ط: الأولى ، 2006م).
25. رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر : لمحمد قطب (دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط: الأولى ، 1994م).
26. زاد المسير في علم التفسير: لأبي الفرج الجوزي (المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط : الأولى ، 1994م).
27. سنن النسائي : لأحمد بن شعيب ابو عبدالرحمن النسائي (مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط: الثانية ، 1986م)

28. سورة النساء وموقفها من اليهود والمشركين والمنافقين. رسالة دكتوراه للطاهر أحمد عبدالقادر (جامعة ام درمان الإسلامية، 1978م).
29. صحيح بن حبان : لمحمد بن حبان بن أحمد البُستي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط (مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط : الثانية، 1993 م) .
30. فتح الباري في شرح صحيح البخاري: لابن حجر أحمد بن علي (دار المعرفة ، بيروت ط: الثانية ، 1379هـ).
31. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، المحقق: محمد حامد الفقي (السنة المحمدية، القاهرة ، ط: السابعة ، 1957م).
32. في ظلال القرآن : سيد قطب:(دار الشروق، بيروت ، ط: التاسعة ، 1980م).
33. قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدوا أهله : جلال العالم : (بدون ، ط: الثانية ، 1977م)
34. لسان العرب: لأبن منظور: (دار صادر ، بيروت ، ط: الأولى).
35. مجموع الفتاوى : لتقي الدين ابن تيمية (دار الكتب العلمية ، بيروت، ط: الأولى، 2002م).
36. مدارج السالكين :لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي ، تحقيق: محمد حامد الفقي(دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط: الثانية ، 1973م)
37. مسند الإمام أحمد لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (عالم الكتب ، بيروت ، ط :الأولى، 1998م).
38. معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم: للدكتور عبد الوهاب الديلمي(مكتبة الإرشاد ، صنعاء ط: الثانية،1998م).
39. معاني القرآن وإعراجه: لأبي إسحاق إبراهيم الزجاج (دار الحديث ، الأزهر ، ط: الثانية، 1997م).
40. معجم ألفاظ القرآن الكريم : (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970م).
41. وجوب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم :لتقي الدين ابن تيمية (دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الثانية، 1998).